Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعد، فهو ينتمى إذن إلى دنيا البراءة الأولى ، فيما قبل تاريخ الثواب والعقاب، أما الأم فتستحق ـ لوضعها الخاص داخل التراث ذاته أن تدخل الجنة لمجرد أنها أم، ولأن مستجاب على وجه التحديد، والجبار الذى يرفض طلبا لامرأتين ـ بغض النظر عن كنه الطلب وشكل المرأتين ـ يصبح جبارا لايلبث أن يسارع إلى الاستجابة لطلب أول رجل يقابله والبليغ المصروع بين شطرى قصيدة قديمة كلها نماذج من ابتداع الكاتب لإثارة السخرية تؤدى وظيفة مزدوجة وخطيرة هى نقد مظاهر الوعى المعاصر بعناصر التراث ونزع القداسة عنها برفق شديد.

ويبدو أن هناك معادلة دقيقة لايستطيع مبدع مهما أوتى من مهارة أن ينجو من نتائجها، وهى تلك التى تقوم بين المتخيل السردى من ناحية ولغة أدائه من ناحية أخرى، فإذا ما أسرف فى تركيز الإحساس بالكلمات وجعلها فى بؤرة اهتمامه ومركز الثقل فى توجيه استراتيجية خطابه، كان ذلك على حساب طبيعة المتخيل والعالم الذى يقدمه. لكنه عندما يكون مشغولا فى الدرجة الأولى بإقامة هذا العالم وبناء مستوياته فإن اللغة سرعان ماتحتل الموقع الثانى فى الأهمية لدى المتلقى فلا نتوقف عندها لذاتها ولانبهر بجسارتها وألعابها ولاتحتل موقع البطولة فى العمل الإبداعى فى جملته. فإذا ما اختبرنا هذه الفكرة النقدية فى مجموعة مستجاب القصصية وجدناها تتراوح بين هذين الطرفين بتفاوت شديد.

فهناك الأعمال التى يبرز فيها الفنان باعتباره كاتبا يتميز بأسلوب سردى ساخر وساخن ومدهش، وسنجد أن مركز البطولة فيها تحتله اللغة بحيلها فى التناصّ وفتنتها فى الدعابة، وهناك أعمال أخرى يتراجع فيها الاهتمام بالقول ذاته وتتكشف حينئذ فى متخيل محكم البناء وإن كان بسيط التمثيل للحياة. لأن التحدى الذى يواجه القصة القصيرة يتمثل فى ضيق المساحة الوصفية من ناحية، وضرورة تقديم متخيل يبقى فى الذاكرة من ناحية أخرى بخلاف الرواية التى تسمح ببناء عالم فسيح من الرؤى والأحلام والوقائع والشخوص. فالقصة القصيرة تريد أن تقول ببنيتها المركزة المكثفة شيئا جوهريا عبر لقطات سريعة مدهشة، وكثير من قصص محمد مستجاب حكايات طويلة مختزلة فى صفحات قليلة، أو شروح مستفيضة